اليغمـوري أبو المحاسن يوسف بن احمد المتوفى (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) دراسة في سيرته وعلمه

أ.م.د. هناء سالم ضائع*

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/١١/٥ تأريخ القبول: ٢٠١٧/١٢/٦

المقدمة

اشتهر القرن السابع الهجري بعدد من العلماء الذي صنفوا في مختلف مجالات المعرفة في ذلك الوقت، وقدموا للحضارة الإسلامية انجازات علمية ومعرفية، يتناولها المتعلمين إلى الوقت الحاضر، ومن هؤلاء العلماء اليغموري الذي اهتم بعلوم مختلفة منها الحديث والتاريخ والأدب.

في هذا البحث نتناول شخصية لها أصولها وثقافتها ونشاطها العلمي انتشر مابين الشام ومصر والعراق، وترك مؤلفات كثيرة ولم يصلنا إلا كتاب واحد له في مجال الأدب وهو مختصر لمقتبس من كتاب ضاع، لم يصلنا أيضا وهنا تكمن أهمية كتاب (نور القبس) لليغموري الذي بين أيدينا.أما دوافع كتابة هذا البحث هو الغموض الذي أحاط بشخصية يوسف بن احمد اليغموري، وشحة المعلومات حول أسرته وحياته ونشاطه الثقافي، فضلا عن ندرة المصادر التي تحدثت عنه، ولعل ذلك دفعني إلى تناول شخصية اليغموري والبحث عن أصول أسرته وعلمه.

أما أهمية هذا البحث فان نصوص كتاب اليغموري قد وفر لدينا مادة علمية ومضامين لكتاب قد فقد ضمن مفقودات الكثير من كتب التراث العربي الإسلامي، فضلاً عن ذلك فقد وفر لنا اليغموري قيمة تاريخية وأدبية وترجمات للكثير من أعلام الأدب العربي،و تضمن البحث فقرات عدة منها اسمه ونسبه ، وولادته، وكنيته وألقابه، شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته، أراء العلماء فيه، علاقته بالسلطة، والقيمة التاريخية والأدبية لكتاب (نور القبس) لليغموري، وأخير وفاته.

* قسم التاريخ/كلية الآداب/ جامعة الموصل .

أولا: اسمه ونسبه

هو يوسف بن احمد بن محمود بن احمد بن محمد بن أبي القاسم ألأسدي، [١] نسبة إلى قبيلة أسد، وهناك أكثر من قبيلة عرفت باسم أسد،[٢] وبنو أسد قبيلة مشهورة من العدنانية وهي من القبائل ذات النشاط الحربي أسهمت في الحروب والغزوات قبل وبعد الإسلام، جاءوا من نجد ثم تفرقوا على الأقطار ونزلوا العراق منذ سنة (١٩هـ/٦٤٠م)، وغدا مركزاً للتجمع القبلي بعد الفتح الإسلامي له. [٣]

وعلى الرغم من نسبة يوسف بن احمد ألأسدي إلى بني أسد إلا إن مسألة القبيلة يبدو قد انصهرت في مجتمع يمر في مرحلة انتقالية مابين الايوبين (٥٧١-٦٦٠هـ/١١٧٥-١٢٦١م)،[٤] والمماليك (٦٦٠-٩٢٢هـ/١٢٦٢-١٥٢٤م)، [٥] ولم تعد القبيلة لها تأثيرها كما كان في العصر الأموي وبدايات العصر العباسي.

---

١) اليونيني، موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، ط١،(الهند:١٩٦٠)، ١٠٦/٣؛ اليغموري، أبو المحاسن يوسف بن احمد بن محمود، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، تحقيق: رودلف زلهايم، دار النشر فرانتس شتاينر، (بفيسبادن:١٩٦٤)، مقدمة المحقق، ص١٤؛ ألكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق أحسان عباس، دار الثقافة، ،(بيروت:د/ت)، ٣٣٨/٤؛ الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، تاريخ الإسلام، تحقيق:عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٣، (بيروت:٢٠٠٣)، حوادث سنة(٦٧١-٦٨٠هـ)، ١٤٣.

٢) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، تحقيق: محمد عوامة، مطبعة محمد هاشم ألكتبي، ط٢، (دمشق:١٩٨١)، ١٣٨/١؛ ابن الأثير، علي بن عبد الكريم بن عبد الواحد، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، (بغداد:١٩٧٠) ،٥٢/١-٥٣.

٣) كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المطبعة الهاشمية، (دمشق:١٩٤٩)، ٢١/١-٢٢.

٤) ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ٣/٦و١٨،٤.

٥) عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الايوبين والمماليك، دار النهضة العربية، (بيروت: ١٩٧٢)، ١٦٧ وما بعدها.

ثانيا : ولادته

ولد يوسف بن احمد في دمشق سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، ولهذا عرف بـ (الدمشقي) [١] من أب موصلي وجد تكريتي،[٢] لان الحدود لم تكن موجودة في ذلك الوقت، وكان الشخص يتنقل بين البلدان العربية من دون أي عائق وهو حر في السكن بأي ارض أو مكان يشاؤه، ولا نعلم لماذا جاء أباه إلى دمشق قادماً من الموصل، ولا نعلم لماذا ترك جده تكريت متجهاً إلى الموصل، ولعل هناك أسباب جعلت من مميزات هذه الأسرة التنقل في أكثر من بلد، منها ما يخص انتقال أبيه من الموصل إلى دمشق فيبدو أن مهنته (الطحان) [٣] دعته إلى ترك الموصل التي عانت من سوء الأوضاع الطبيعية والاقتصادية آنذاك خلال العقدين الأخيرين من القرن السادس الهجري/الثاني عشر للميلاد،[٤] ولا يمكن أن نؤكد مثل هذه الفرضية، لكن ما يمكن الوثوق به أن انتقال أبيه أو جده من قبل، كان يعود لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو بتعبير أخر أن هذه الأسرة كانت تبحث عن ما يناسبها ما بين تكريت والموصل ودمشق وأخيرا مصر مكان وفاة يوسف بن احمد ألأسدي.

ثالثا: كنيته وألقابه:

كنى يوسف بن احمد الأسدي بـ (أبو المحاسن)[٥] ولقب بألقاب عدة هي، (جمال

---

١) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الكتبي، فوات،٣٣٨/٤؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٣؛ المقريزي، احمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك:نشرة: محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة:١٩٣٦)، جـ١/ق٦١٩/٢.

٢) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ البرزالي، القاسم بن محمد بن يوسف، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط١،(بيروت:٢٠٠٦)، جـ١/ ق٣١٨/١.

٣) البرزالي،المقتفي، جـ١/ ق٣١٨/١؛ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (مصر: د: ت)،٢٤٧/٧.

٤) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق:عبد القادر احمد طليمات،(مصر:١٩٦٣)،١٧٨.

٥) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ ألكتبي، فوات، ٣٣٨/٤؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٣.

الدين)[١] وهذا اللقب جاء من خلال مصاحبته للأمير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك ابن بلهان[٢] بن عبدالله أبو الفتح الباروقي الذي ولد سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م) بقرية بالقرب من سمهود من عمل قوص بصعيد مصر تعرف بقرية (ابن يغمور)، سمع الحديث من أبي عبدالله محمد بن ابراهيم الفارسي(ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، وأبو علي الحسن بن ابراهيم بن دينار المصري (ت٦٣٩هـ/١٢٤١م) المحدث،[٣] وتنقل في الولايات الجليلة وتولى نيابة السلطنة[٤] بدمشق سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩) عن الملك الصالح أيوب (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، واشرف على تدبير أمور السلطنة،[٥] وقام بإنشاء المدرسة اليغمورية الحنفية بدمشق في الصالحية.[٦] ثم توجه إلى القاهرة بحدود سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)

---

١) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الكتبي،عيون التواريخ، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامر، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، (العراق:١٩٨٤)، ٦٣/٢١؛ الكتبي، فوات،٣٣٨/٤؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٣-١٤٤.

٢) اليونيني، يذكر(يلمان)، ٢/ ٣٣٠؛ العيني، بدرالدين محمود، يذكر (بلهان)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة:١٩٨٨)، ٤١٢-٤١٣؛ أما ابن تغري بردي، ذكر(بليمان)، النجوم الزاهرة،٢١٨/٧-٢١٩.

٣) الادفوي،أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، مطبعة الجمالية، (مصر:١٩١٤)، ٣٨١-٣٨٢؛ العيني، عقد الجمان، ٤١٢-٤١٣.

٤) نيابة السلطنة: وهي أرقى مناصب الدولة جمعاء، وتأتي في المرتبة الثانية بعد السلطان، ومن يتولها يكون واسع النفوذ وأكثر تخصص بأمور الدولة ويقوم بانجاز الكثير من الأعمال التي تعتبر من اختصاص السلطان وفي الحقيقة هو الحاكم الحقيقي للبلاد ، القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط١،(بيروت:١٩٨٧)، ٢٤/٤-٢٥؛ المقريزي، احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة المثنى، (بغداد:د/ت)، ٢١٤/٢-٢١٥؛ سليم، محمد رزق،عصر سلاطين المماليك، المطبعة النموذجية، ط٢،(القاهرة:١٩٦٢)، ٩٠/١.

٥) ابن كثير،أبو الفداء، البداية والنهاية، وثقه: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط٢،(بيروت:٢٠٠٥)، ١٧٩/٣.

٦) النعيمي،عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، أعداد:ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١،(بيروت:١٩٩٠)،٤٩٩/١-٥٠٠.

وتولى نيابة السلطنة هناك أيضا عن الملك الظاهر (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م)، [١] ولم يكن من الأمراء من يضاهيه في منزلته وشجاعته وقربه من الملوك، فكان أميرا جليلاً حازماً مدبراً جواداً وكان الملك الظاهر يعمل بمشاورته فهو احد الأمراء المشهورين بالمعرفة وحسن الدراية وتدبر الأمور توفي سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) بالقصير من أعمال الفاقوسية[٢] بمصر وحمل إلى تربة والده بسفح جبل المقطم[٣] فدفن بها،[٤] ويظهر أن يوسف بن احمد تلقب بلقب (جمال الدين) نسبة إلى هذا الأمير بحدود سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) بدمشق حيث كان يوسف بن احمد مستقر هناك تلك الفترة والأمير جمال الدين تولى نيابة السلطنة بدمشق وعرف عنه بأنه محدث وشاعر،[٥] فتقرب منه يوسف بن احمد ولازمه لفترة طويلة حتى تلقب باسمه وعرف بـ(جمال الدين)، ولقب أيضا

١) الملك الظاهر: هو ركن الدين بيبرس،البند قداري لقب بـ(الظاهر) يعد من أهم الملوك البحرية واصلة من ارض القبجاق اسر وبيع صغيرا لرجل يدعى العماد الضائع ثم اشتراه منه الأمير علاء الدين البند قداري، ثم آل ملكه الى الملك الصالح نجم الدين الأيوبي ثم اعتقه وجعله من المماليك البحرية ورباه معهم فشب شجاعاً باسلاً ثم صار اتابك العسكر في دولة قطز ولما قتل الأخير صار بيبرس سلطاناً، المقريزي، الخطط،٢/٢٣٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر:١٩٨٤)، ٣/٤٤٧-٤٥١؛ سليم،عصر سلاطين المماليك،١/١٤-١٥،٢٦؛علي، محمد كرد، خطط الشام، مطبعة المفيد، (دمشق:١٩٢٨)، ٢/١٢١.

٢) الفاقوسية:- اسم مدينة في حوض مصر الشرقي في أخر ديار مصر من جهة الشام في الحوف الأقصى، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، تنقيح وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي دار احياء التراث العربي،(بيروت: ١٩٩٦)، ٣/٦/٤١٢.

٣) المقطم:- وهو جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبش على نهر النيل حتى ينقطع في طرف القاهرة ويسمى في كل موضع باسم وعليه مساجد وصوامع وسمي المقطم لأنه لا ينبت فيه شي. الحموي، معجم البلدان،٤/٨/٣٠٢.

٤) الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت:١٩٨٥)، ٣/٣٠٨؛ الادفوي، الطالع السعيد، ٣٨١-٣٨٢؛ العيني، نثر الجمان، ٤١٢-٤١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/٢١٨-٢١٩؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار أحياء التراث العربي،(بيروت: د: ت)، ٥/٣١٣.

٥) الادفوي، الطالع السعيد، ٣٨١-٣٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/٢١٨-٢١٩.

بـ(اليغموري) نسبة إلى صحبته للأمير جمال الدين بن يغمور،[١] ويظهر أن الأخير كان معجباً بـ(يوسف بن احمد) فقربه منه حيث عرف عن الأخير بأنه " كان حلو المحادثة مليح النادرة لا تمل مجالسته"، [٢] [٢٠]،كما ذكرته المصادر[٣] [٢١] بأنه " كان حسن الأخلاق لطيف الشمائل".

ولعل مثل هذه العلاقة مابين يوسف بن احمد اليغموري والأمير جمال الدين يدل على تأثير الأخير على اليغموري،وعلى علاقة اليغموري نفسه بالسلطة في ذلك الوقت.كما لقب بلقب (شمس الدين)، [٤] [٢٢] وهو لقب أطلقه عليه صاحبه المؤرخ ابن خلكان[٥] (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)،مخالفاً بذلك ما جاء في كتب التراجم الأخرى،[٦] إذ ورد في كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، بدلاً من لقبه (جمال الدين) الذي عرف به، وقد أشار البعض أن ألقاب (جمال الدين) و(شمش الدين) من الألقاب المعروفة التي أطلقت على العلماء في عصر المماليك وخاصة لقب (جمال الدين) اختص بالاسم (يوسف) ويلاحظ هنا الصلة بين اللقب والاسم التي تشير إلى النبي يوسف عليه السلام والجمال الذي اشتهر به،[٧] حيث ذكرت المصادر التاريخية[٨] أن الأمير شهاب الدين بن جمال الدين بن يغمور (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م) كان معروفاً بالشهامة والصرامة ولاه الملك

---

١) اليغموري، نور القبس،مقدمة المحقق، ١٥؛ اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الكتبي، عيون التواريخ،٢١ /٦٤؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٤.

٢) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣.

٣) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛الكتبي،عيون التواريخ،٦٤/٢١؛الذهبي، تاريخ، ١٤٤.

٤) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ١٤،٢١.

٥) ابن خلكان، احمد بن محمد بن ابي بكر، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت:١٩٧٧)، ٢٥٠/٦.

٦) اليونيني، ذيل، ١٠٦/٣؛ الكتبي،عيون التواريخ،٦٣/٢١؛ا لذهبي،ت اريخ، ١٤٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤٧/٧.

٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥ /٤٨٨؛ باشا، حسن، الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، المكتبة المصرية، (القاهرة:١٩٥٧)،٢٤٠.

٨) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ٢٢-٢٣؛ الادفوي، الطالع السعيد، ٧٧؛ الكتبي،عيون التواريخ،٥٧/٢١؛ العيني،عقد الجمان، ١٣٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي،٢٢٩/٢-٢٣٠.

الظاهر بيبرس المحلة وأعمالها من الغربية في مصر، فعمل على توطيد الأمن والسلام ومهد قواعدها وأباد من بها من المفسدين والدعار وقطع الأيدي والأرجل والشنق بحيث أفرط في ذلك، وعلى الرغم من المبالغة في هذا القول لكنه يبدو إن الأمير شهاب الدين كان شديداً في تعامله مع العامة، فمن المحتمل على هذا الأمر أن يكون يوسف بن احمد اليغموري قد تخلى عن ألقابه (جمال الدين) و(اليغموري) لما علق بهما من بطش وقسوة ميزت أل يغمور آنذاك، خاصة بعد وفاة الأمير جمال الدين الذي نسب إليه يوسف بن احمد، وقد يكون ابن خلكان فعل الشيء نفسه للأسباب نفسها لإبعاد ما يشين سمعة صاحبه يوسف بن احمد اليغموري،[١] وهذا تفسير فيه تخمين أكثر مما هو دليل قاطع لكي يبقى تفسيراً مقبولاً، ولهذا نرى ابن خلكان يذكر صاحبه يوسف بن احمد بـ (الدمشقي) ولا يذكر اليغموري، وهذا جواب لسؤال لماذا لقبه بالدمشقي وليس اليغموري في ذلك الوقت، كما لقب يوسف بن احمد اليغموري بـ(ابن الطحان)، [٢] وهو لقب الصق به لان أباه كان طحانا يعمل بطحن الحبوب في الموصل ومن هنا جاء هذا اللقب، وهو يدل على عراقة أسرته وأبوه تحديداً في مجال العلم والمعرفة بقدر ما كان من أواسط الناس، كما لقبه الذهبي[٣] (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) بـ(المحدث)، وهذا يدل على براعته في الدراسة ومعرفة الحديث، وربما كان أباه تقياً فشجعه على ذلك،لأنه كان يدرس الحديث ويرويه فاشتهر به حيث أشار الذهبي [٤] " عَني بالحديث وتعب فيه وحصل وكتب الكثير من الحديث"، ويدل هذا النص على اهتمام يوسف بن احمد اليغموري في بداية حياته بالحديث حيث بذل اهتمام كبير وتحمل الصعاب في دراسة الحديث على يد شيوخ كبار في عصره ودون ما تلقاه منهم حتى وصل إلى درجة كبيرة في معرفة الحديث وروايته واهتمامه ذلك جعله يلقب بـ(المحدث) وهو لقب يطلق على من يروي الحديث الشريف،[٥]

---

١) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ٢٢-٢٣.

٢) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛البرزالي،المقتفي، ٣١٨/١/١.؛ الكتبي، فوات، ٣٣٨/٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤٧/٧.

٣) تاريخ ، ١٤٣.

٤) الكتبي، فوات، ٣٣٨/٤.

٥) القلقشندى، صبح الأعشى،٤٦٤/٥.

وأيضا لقب بـ(الحافظ) [١] وهو من ألقاب المحدثين واختص بهم لضرورة حفظهم للأحاديث وأسماء الرجال وتواريخهم ونحو ذلك، ونعت به من مهر في معرفة الحديث الشريف وروايته،[٢] ويشير ذلك إلى نبوغه ووصوله إلى مرحلة متقدمة من إتقان علم الرجال والجرح والتعديل، ودليل ذلك انه لقب بـ(الشيخ)، [٣] وهو لقب يطلق على كبار السن وبعض كبار العلماء وربما قصد به من يجب توقيره كما يوقر الشيخ،[٤] فهذا اللقب يدل على مشيخته في علم الحديث ووصوله إلى درجة متقدمة في روايته ومعرفته له، وعلى الرغم من هذه الألقاب (المحدث،الحافظ،الشيخ) وعلاقتها بعلم الحديث إلا انه من المؤسف عدم وصول إلينا أي كتاب له علاقة بالحديث والجرح والتعديل، ولا نعلم إن كانت تلك الكتب لم تكن لها مكانتها في عصره أو أنها فقدت واندثرت لأسباب أخرى حيث أكدت المصادر[٥] بأنه كتب الكثير من المؤلفات، أي أن له مؤلفات كثيرة لكنها لم تصلنا، كما أطلق عليه البرزالي[٦] لقب (المؤرخ) وهو لقب يطلق على من يؤرخ الأحداث التاريخية[٧] لكن لم يصل إلينا أي مؤلفات له عن التاريخ، وأطلق عليه لقب (الأديب) [٨] وهو من ألقاب أهل الأدب.[٩]

فاشتهر يوسف بن احمد بكونه أديبا شاعراً ، والدليل على ذلك انه قام باختصار كتاب (المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء) لمؤلفه أبي عبدالله محمد بن عمران المرزباني (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، [١٠] وهو الكتاب الوحيد الذي وصلنا للأديب يوسف

---

١) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الكتبي، فوات، ٣٣٨/٤؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٣؛ المقريزي، السلوك، ٦١٩/٢/١.

٢) القلقشندى، صبح الأعشى،١٠/٦؛ باشا، الألقاب الإسلامية، ٢٥٢-٢٥٣.

٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤٧/٧.

٤) القلقشندى، صبح الأعشى،١٧/٦؛ باشا،الألقاب، ٣٦٤-٣٦٥.

٥) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الكتبي،عيون التواريخ،٦٣/٢١؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٤.

٦) المقتفي، ٣١٨/١/١.

٧) باشا، الالقاب، ١٣٦.

٨) البرزالي، المقتفي، .٣١٨/١/١.

٩) باشا، الالقاب، ١٣٧.

١٠) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ١٤.

بن احمد اليغموري، ويبدو أن الأخير لما وصل إلى درجة متقدمة في الحديث توجه رغبة منه إلى الأدب والشعر فاهتم به في نهاية حياته، بدليل مذاكراته مع صاحبه المؤرخ ابن خلكان في القاهرة حول احد شعراء دمشق،[١] وأيضا مكاتباته مع شعراء عصره مثل شهاب الدين بن الخيمي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، [٢] فكتب الأخير إلى اليغموري وكانا أرمدين، فقال:[٣]

أبثكَ ياخليلي أن عيني غدتْ رمداءَ مثل عَيْنِ
حديثُ أنت تعرفه يقيناً لأنك قد رمدت وأنت عيني

فأجابه اليغموري :

كفاك الله ماتشكو وحيّا محاسنَ مقلتيك بكلّ زين
فاني من شفائك ذو يقين لأنك قد شفيت وأنت عيني[٤]

يتبين من خلال هذه الأبيات اثر الرمد في شعر اليغموري وان هذا المرض لا يمنعه من مخالطة الناس ولا يؤثر على شخصيته.

ومن شعره أيضا :

أنا مرآةَ فان أبصرتم حسناً انتم بها ذاك الحسنْ
أو تروا ما ليس يرضيكم فقد صدئت إن لم تروها من زمن[٥]

---

١) ابن خلكان ،وفيات الأعيان، ٢٥٠/٦.

٢) شهاب الدين ابن الخيمي: هو محمد بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخيمي الشاعر المشهور ولد سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) بمصر، له اسهامات في كثير من العلوم إلى جانب الشعر وهو شاعر متصوف له ديوان شعر توفي بمصر، ابن الشعار،كمال الدين مبارك، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت:٢٠٠٥)، ٢٥٣/٧؛ الكتبي،عيون التواريخ،٣٧٥/٢١.

٣) الرمد:هو مرض يؤدي إلى هيجان العين. الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، رتبه: خليل مأمون شيحا، ط٣،(بيروت:٢٠٠٨)، دار المعرفة، ٥٣٠.

٤) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣-١٠٧؛ الكتبي، فوات، ٣٣٨/٤.

٥) اليونيني، ذيل،١٠٧/٣-١٠٨؛ الكتبي،عيون التواريخ،٦٤/٢١.

ونستدل من خلال هذه الألقاب العلمية التي تلقب بها يوسف بن احمد اليغموري على المكانة العلمية المرموقة التي وصلها بفضل جهوده العلمية بدليل ما ذكرته المصادر[١] بان له فهم ومعرفة واتقان ومشاركة في علوم متعددة منها الأدب و التاريخ وعلوم أخرى، وانه كان في بداية حياته مهتماً بالحديث وعلومه وما أن بلغ مرحلة متقدمة في ذلك حتى توجه إلى فنون أخرى مثل الشعر والتاريخ ومال إليها أخر حياته أكثر من الحديث مما جعله يشتهر في "جمع مجاميع مفيدة "[٢] واختيار بعض المؤلفات في الأدب والشعر وقراءتها واختصارها فقلة المعلومات عن حياته تجعلنا نتحدث عن ألقابه بإسهاب والخروج ببعض الاستنتاجات التي قد تقدم بعض الأجوبة في هذا البحث.

رابعا: شيوخه

تلقى يوسف بن احمد اليغموري ثقافته الأولى في التعليم بالكتاتيب بدمشق وهو صغير السن، حيث كما هو واضح أن الصبيان كانوا يرسلون وهم صغار إلى الكتاتيب لتعلم شيء من القران الكريم،[٣] ولما بلغ أكثر من عشر سنوات أي بعد سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م) توجه إلى الموصل لتلقي علم القراءات والحديث على شيوخها فدرس الحديث على المحدث أبو العباس احمد بن سلمان بن أبي بكر بن سلامة الأصفر الحريمي (ت٦١٦هـ/١٢١٩م)، ودرس القراءات على المقرئ أبو بكر مسمار بن عمر بن محمد بن عيسى الموصلي(ت٦١٩هـ/١٢٢٢م)، [٤] ودرس الحديث في دار الحديث المهاجرية بالموصل[٥] على يد كلا من المحدث أبي اسحق بن البرني ابراهيم ابن مظفر بن ابراهيم

---

١) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الكتبي،عيون التواريخ،٦٣/٢١؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٤.

٢) لكتبي،عيون التواريخ،٦٣/٢١.

٣) ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق:علي عبد الواحد وافي، ط١، لجنة البيان العربي، (القاهرة:١٩٦٢)، ١٢٣٩/٤.

٤) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ١٧؛اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ البرزالي، المقتفي، .٣١٨/١/١.

٥) دار الحديث المهاجرية: وهي أحدى دور الحديث في الموصل أنشأها أبو القاسم علي بن علوان بن مهاجر المعروف بمعين الدين في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشرالميلادي في الموصل بسكة أبي نجيح سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م). الديوه جي،سعيد، مدارس الموصل في العهد الاتابكي،(بغداد:١٩٥٩)، ١٦؛ الجميلي، رشيد عبدالله، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي، ط١، دار النهضة العربية، (بيروت:١٩٧٠) ٣١٩.

(ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) والمحدث أبي عبدالله الحسيني بن عمر بن باز الموصلي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م). [١]

عاد بعد ذلك إلى دمشق وكان عمره حوالي (٢٠) سنة لدراسة الحديث على يد المحدث أبي محمد هبة الله بن الخضر بن هبه الله بن احمد بن طاووس الدمشقي (ت٦١٨هـ/١٢٢١م)، والمحدث أبو محمد الحسن بن علي نفيس الدين ابن البن الدمشقي ألأسدي (ت٦٢٥هـ/١٢٢٧م)، والمحدث أبي القاسم بن صصري شمس الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ الدمشقي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م). [٢]

وتوجه إلى مصر وسمع من شيوخها ولم نعثر على أسماء شيوخه بمصر كما يدل على عدم الاستفادة منهم بشكل كبير، ودليل ما يؤكد ذلك أن المصادر[٣] ذكرت انه سمع الكثير بالموصل ودمشق ومصر والإسكندرية دون ذكر شيوخه بمصر أو الإسكندرية، ولعل شيوخ مصر لم يكونوا بمستوى شيوخ الحديث بالموصل ودمشق.

خامسا: تلاميده

ذكرنا أن يوسف بن احمد اليغموري اشتهر بالحديث وروايته، وكان قد تلقى العلم على يده الكثير من الطلاب منهم:

١- الشيخ الأمام العالم الحافظ شيخ المحدثين في عصره شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي ولد بدمياط سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م)، درس وتفقه بها ثم طلب الحديث بمصر ودمشق وسمع من شيوخها ومنهم اليغموري، فكان الدمياطي آخر من بقي من الحفاظ وأهل الحديث، تولى مشيخة الحديث للملك الظاهر ورحل إليه الكثير من طلاب العلم له العديد من المؤلفات منها: (معجم شيوخه) الذين التقى بهم وهم يزيدون على ألف وثلاثمائة شيخ وهو مجلدان، وكتاب (فضل

---

١) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ البرزالي، المقتفي، .٣١٨/١/١؛ الكتبي، فوات، ٣٣٨/٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٤٧/٧.

٢) البرزالي،المقتفي،جـ٣١٨/١/١.

٣) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الكتبي،عيون التواريخ،٦٣/٢١؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٣.

الخيل)، وكتاب (الأعيان الجياد من شيوخ بغداد)، [١] ومن خلال سنه ولادته يمكن تقدير سنة تلقي علومه من اليغموري بحوالي سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) تقريباً.

٢- المحدث العالم علم الدين سنجر التركي أبو موسى البرلي أو البرنلي الدواداري (٦٢٠-٦٩٩هـ/١٢٢٣-١٢٩٩م) اخذ الحديث بمصر عن اليغموري وألف (معجم كبير) في الحديث وله أوقاف كثيرة بدمشق والقدس وهو احد الأمراء الكبار توفي بحصن الأكراد،[٢] ولا نعلم متى التقى باليغموري ويبدو انه تلقى منه العلم بعد سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) .

٣- الشيخ المحدث احمد بن إسماعيل بن منصور نجم الدين الحلبي المعروف بابن التبلي(٦٣١-٦٩٨هـ/١٣٣٣-١٢٩٨م)، فاخذ علم الحديث بالشام عن اليغموري،[٣]ويبدو انه تلقى منه العلم بعد سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م).

٤- الشريف عز الدين، سمع منه[٤] الحديث في مصر بعد سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) وتوفي سنة(ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م).

سادسا: مؤلفاته:

اشرنا فيما سبق أن اليغموري له اهتمام بعلوم عدة منها الحديث والتاريخ والأدب، وكتب الكثير من المؤلفات بهذه العلوم،[٥] لكن للأسف فقدت معظمها ولم تشير المصادر لها ولا حتى إلى عناوينها، فلم يصلنا أي كتاب من كتب الحديث أو الجرح والتعديل مما يدل على أنها فقدت حالها حال الكثير من كتب التراث العربي الإسلامي، أو أنها تعرضت للتلف والحرق بسبب موقف سياسي له نجهل تفاصيله، ولكن مثل هذا القول من باب الفرضية البعيدة، أو انه غادر كتب الحديث من النصف الثاني من حياته واتجه إلى الاهتمام بالأدب ما جعل كتبه في الحديث لا ترتقي إلى كتب العاملين بالحديث طوال حياتهم ممن عاصروه.

---

١) البرزالي، المقتفي، ٢/١/٣١١-٣١٣؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار أحياء التراث العربي، ط٢١،(بيروت:١٩٥٧)، ٤/١٤٧٧-١٤٧٩.

٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٤٨٨؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٥/٤٤٩.

٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٤/٢٤٠-٢٤١.

٤) الذهبي، تاريخ، ١٤٤.

٥) الكتبي،عيون التواريخ،٢١/٦٣؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٤.

أما بخصوص مؤلفاته بما يخص التاريخ فلا نملك معلومات عنها أو عناوينها فلم نعثر عليها أو حتى على اسمها في المصادر التاريخية بدليل قول الذهبي : [١] " له جموع حسنة لم أرها، [٥٩] مما يدل على أن نصوص اليغموري فقدت منذ عهد الذهبي ولعل الأوضاع السياسية لها اثر كبير في ضياع تلك الكتب في التاريخ، لكننا لا نملك معلومات عن علاقته بتلك الأوضاع.

أما كتبه في مجال الأدب والشعر فله كتاب (كنوز الفوائد ومعادن الفرائد)، [٢] كما اهتم في أخر حياته العلمية بالأدباء والشعراء واخذ يطلع على مؤلفاتهم وتصانيفهم فقام باختصار كتاب (المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء) للمرزباني وهو كتاب مهم يحتوي على بداية علم النحو وأهميته وتراجم لكثير من النحاة والأدباء والشعراء في البصرة والكوفة وبغداد خلال العصرين الأموي والعباسي،[٣] فقد قال عنه الحموي مبيّن أهميته: [٤] " ثم صنف فيه أبو عبيد الله المزرباني كتاباً حفيلاً كبيراً على عادته في تصانيفه، إلا انه حشاه بما روؤه، وملأهُ بما وعوه، فينبغي أن يسمى مسند النحويين، وقد وقفت على هذا الكتاب وهو تسعة عشر مجلداً ونقلت فوائده إلى هذا الكتاب" وأكد أبن القفطي على أهميته بقوله: " ألف كتاباً كبيراً سماه – المقتبس– يقارب العشرين مجلداً وورد في أثنائه من المسائل النحوية والألفاظ اللغوية ما يعد به من اكبر أهله"، [٥] مع العلم أنه يحتوي على تراجم لا تربو على (١٥٠) ترجمة انتظمت في (٣٠٠٠) ورقة،[٦] وأكد ذلك الحموي بقوله: [٧] " قليل التراجم بالنسبة إلى كبر حجمه"، فيدل ذلك على أهمية الكتاب وما يحويه من غرائب ونوادر والدليل على ذلك اهتمام السلطة به فلا يوجد من هذا الكتاب نسخة سوى الأصل الذي هو بخط

---

١) تاريخ، ١٤٤.

٢) البغدادي، اسماعيل باشا ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح: رفعت بيلكه الكليس، مكتبة المثنى، (بغداد:د/ت)، ٣٨٩/٢.

٣) االيغموري، نور القبس، ٤وما بعدها.

٤) الحموي، ياقوت، معجم الادباء، ط٣، دار الفكر، (بيروت:١٩٨٠)، ٤٧/١.

٥) ابن القفطي، علي بن يوسف،أنباه الرواة على انباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية (القاهرة: ١٩٥٥)، ١٨٠/٣،.

٦) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ٣٠.

٧) معجم الأدباء،٤٧/١.

المصنف وهو ثمانية عشر مجلداً في وقف الوزير نظام الملك (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) في مدرسته بمدينة السلام،[١] يتبين من خلال هذه الروايات أن الكتاب ذو حجم صغير وأوراق قليلة لا يتعدى العشرين مجلداً.

وعلى الرغم من أهمية كتاب (المقتبس) للمرزباني إلا انه لم يشتهر أو يعرف المعرفة اللائقة به، والجواب على ذلك عدة عوامل منها العامل العلمي فنسخ الكتب ليس بالعمل اليسير، وموضوعه يهم طبقة معينة من العلماء وهم أهل الأدب والشعر،[٢] فضلا عن العامل السياسي نتيجة اكتساح المغول للعالم الإسلامي في (القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي)، وما أحدثه المغول من دمار وخراب في مكتبات بغداد ومدارسها،[٣] أما العامل الطبيعي، فتمثل بالفيضانات نهر دجلة على بغداد مرات عديدة في الفترة الواقعة بين سنتي (٦٤١-٦٥٤هـ/١٢٤٣-١٢٥٦م) وقد سببت تلك المياه الخراب بالمدينة وبشكل خاص على المدرسة النظامية وفيها ما فيها من الكتب ومنها المقتبس،[٤] ولا ننسى أيضا تأثير العامل الشخصي فاعتزال المرزباني وتشيعه وسلوكه في تفسير آيات القران الكريم جعلت جمهور المفسرين يمتنعون عن الأخذ بها، وروايته لبعض الخرافات، ذلك كله أدى إلى أثارة حفيظة العلماء وابتعادهم عن مصنفاته،[٥] وكثرة تعاطيه الخمر،[٦] ونحن نعلم من أيامنا هذه انه أذا ما وجه نقد إلى كتاب ما أو إلى مؤلف كتاب ما، فان جمهور القراء يعزف عن قراءة ذلك الكتاب، فلتلك العوامل جعلت من كتاب (المقتبس) عدم تحقيق الشهرة اللائقة به.[٧]

---

١) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ١٨.

٢) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ٣١

٣) العبادي، احمد مختار، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام،(مصر:١٩٨٢)، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٨-١٤٩.

٤) ابن الأثير، علي بن عبد الكريم بن عبد الواحد، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت:١٩٦٦)، ١٢/١١٠-١٧٠؛ يحيى، فوزي أمين، الفيضانات والزلازل وأثرهما الاقتصادي والاجتماعي والصحي في الدولة العباسية(٥٧٥-٦٥٦هـ)، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب،(جامعة الموصل:٢٠٠٦)، العدد٤٥، ٣٧٩-٣٩٠.

٥) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ٣١

٦) الحموي، معجم الأدباء،١٨/٢٧١.

٧) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ٣٢-٣٣.

فقام اليغموري باختصار هذا الكتاب فوفر لنا مضامين نص مفقود فيه تراجم وأخبار طليعة النحاة والأدباء والشعراء والعلماء مع انه لم ينقل تراجم المقتبس كلها، وكان منهجه في الاختصار انه قام بحذف الأسانيد بقوله: " وقد حذفت الأسانيد والطرق وما لا يتعلق به كبير غرض وفائدة"، وأيضا تصرف في التراجم فشذ عن ترتيب تراجم الأصل بقوله: " ولم اخل ترجمة منه غير أني اذكر احاسن ما ذكر". (١)

قام بكتابة هذا المختصر حوالي سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) بمكة، عندما ذهب للحج والتقى مع نجم الدين أبو النعمان بشير بن أبي بكر حامد بن سليمان التبريزي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) الذي انتخب كتاب المقتبس في مستهل (القرن السابع الهجري/الثالث عشر للميلاد)، وقد انتخب منه اليغموري مختصره، فحفظ بذلك لنا على الأقل قبساً من نور الأصل لتكون في متناول يد عدد كبير من الناس،(٢) كل تلك الأمور تشير إلى ما يتحلى به المختصر من مكانة رفيعة وقيمة علمية في تاريخ الأدب العربي.

سابعا: أراء العلماء فيه:

تميزت أراء المؤرخين بـ(يوسف بن احمد اليغموري) بأنها آراء تشير إلى المكانة العلمية التي وصلها، وكان ابرز المؤرخين المعاصرين له ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) فقد ذكر نصاً يخص اليغموري عند حديثه في ترجمة احد الشعراء وعن شعره في مدح الأمير نور الدين محمود (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) والتشكيك في نسبة ذلك الشعر قائلاً: (٣) " فلما كان في أوائل سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقفت بالقاهرة المحروسة على مجلد من كتاب (السيل والذيل) لعماد الدين الكاتب الاصبهاني(٤) وقد جعله ذيلاً على كتابه (خريدة القصر)... ثم بعد ذلك بقليل جاءني صاحبنا جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن احمد اليغموري المعروف بالحافظ اليغموري فتذاكرنا".

---

١) اليغموري، نور القبس،مقدمة المحقق، ١٨،٢٧.

٢) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ١٨-١٩

٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان،٦/٢٥٠.

٤) الكاتب الاصفهاني: هو أبو عبدالله محمد بن صفي الدين الملقب بعماد الدين الكاتب الاصفهاني ولد سنة (٥١٩هـ/١١١٨م) من أسرة اشتهرت بتولي أفرادها وظائف مهمة في عهد الدولة السلجوقية توفي سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ابن خلكان، وفيات الاعيان،٥/١٤٧.

يلاحظ من النص عدة أمور أولها إن ابن خلكان قد التقى مع اليغموري في القاهرة قبل وبعد سنة (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) وان ابن خلكان كان أكثر شان من اليغموري حتى أن الأخير كان يزوره ولا يزار، وثانيا انه كان يربط الاثنين صحبة عميقة وان كانت تتم بين الاثنين زيارات في الشام أو مصر وان هذه الزيارات كانت تتكرر وليس نادرة وفق ما تبين من سياق حديث ابن خلكان وقوله: " صاحبنا جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن احمد المعروف بالحافظ اليغموري" [١] وان علاقة ابن خلكان مع اليغموري استمرت أكثر من عقد وانه يعرفه باسمه جمال الدين أبو المحاسن وانه أراد أن يعرف القارئ (الشامي أو المصري....) الذي يعرف في ذلك البلد بالحافظ اليغموري، كذلك يلاحظ من نص ابن خلكان ان اليغموري كان يزور ابن خلكان وهذا يعني نوعاً ما ارتفاع شان ابن خلكان على اليغموري، ولعل من عوامل صحبة ابن خلكان واليغموري إن كلاهما كانا على مذهب واحد هو المذهب الشافعي،[٢] وان كلاهما غرباء عن مصر وهو المكان الذي التقوا فيه وجرى بينهما هذا الحديث،[٣] وكلاهما لهما اهتمام بالشعر والأدب،[٤] وكلاهما كانا قريبين من رجال الدولة في مصر،[٥] ونتيجة لتلك الصحبة سمح اليغموري لابن خلكان بقراءة كتابه (نور القبس) بعد أن انتهى من تصنيف كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، أي قبل سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) وهي سنة وفاة اليغموري.

والدليل على أن ابن خلكان لم ينقل في كتابه (الوفيات) أخبارا من المقتبس ولا من إحدى النسخ المختصرة من المقتبس مع انه قد نقل عن كتب أخرى للمرزباني كما تدل على ذلك الأخبار الواردة في الوفيات،[٦] أما الأخبار الواردة في الوفيات[٧] والتي جاءت من المقتبس[٨]

---

١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان،٦/٢٥٠-٢٥١

٢) جاسم، خليل ابراهيم، منهج ابن خلكان في وفيات الأعيان، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب،(جامعة الموصل:١٩٨٩)، ٢٢،٢٥-٢٦.

٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧/١٠٠؛ جاسم، منهج ابن خلكان، ٢٨.

٤) جاسم، منهج ابن خلكان، ٤٢-٤٤.

٥) اليونيني، ذيل،٣ /١٠٦؛ جاسم، منهج ابن خلكان، ٣٠ وما بعدها.

٦) وفيات الراعيان،٤/٣٤،٥/٤١٢-٤١٤.

٧) وفيات الأعيان، ٣/٤٥١.

٨) المقتبس، ٣٤٣.

فقد نقلها ابن خلكان من مصدر ثاني قد يكون (معجم الأدباء) لياقوت الحموي أو كتاب (الانباه)لابن القفطي، فلم يكن ابن خلكان قد نقل عن المقتبس ولا عن النسخ المختصرة منه وإنما قام بقراءة المختصر وكتب عليه عبارة " اختصره الشيخ الأجل العالم الفاضل شمس الدين أبو المحاسن يوسف بن احمد بن محمد المعروف بالحافظ الدمشقي أبقاه الله تعالى"، فعبارة (أبقاه الله تعالى) تدل على معاصرته لليغموري وحسن العلاقة بين الاثنين،[١] في حين كان ابن شاكر الكتبي قد ذكر في ترجمة اليغموري[٢] " توفي رحمه الله سنة ٦٧٣هـ، عني بالحديث وتعب وحصل وكتب الكثير من الحديث والأدب،وكان له فهم ومعرفة واتقان ومشاركة في الأدب والتواريخ وله مجاميع حسنة" [١٠٩] يلاحظ من النص على العلاقة الحسنة بين الكتبي واليغموري في حالة وجود لقاء بينهما أو تواصل، أما في حالة عدم التقاءهما فلعل مؤلفات أو نتاج اليغموري دعت الكتبي إلى القول (برحمه الله عليه)، في حين قوله: [٣] " وكان له فهم ومعرفة واتقان ومشاركة في الأدب والتواريخ" يدل على أن اليغموري عرف عند الكتبي بالدرجة الأولى بعلوم الحديث وإتقانها وان الأدب والتاريخ من العلوم الثانوية التي برع فيها اليغموري.

ومن الترجمات المهمة لليغموري ترجمة الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣) فنلاحظ انه لا يقدح به بل اثنا عليه من خلال استشهاده بمن عاصر اليغموري فقد جاء في كتابه تاريخ الإسلام نصا: [٤] " وله جموع حسنة لم أرها"، بل اثنا على فضائله الشريف عز الدين وقال :سمعت منه..." ويتبين من هذا النص أن مؤلفات اليغموري قد ضاعت ولم تصل حتى إلى عصر الذهبي (ق٨هـ/١٤م) ومن الطبيعي عدم وصولها إلينا،في حين وصول كتاب (نور القبس) له أهمية كبيرة في ظل غياب مؤلفاته في عصر الذهبي، كذلك يدل نص الذهبي على مدح طالبه الشريف عز الدين على لسان الذهبي،كذلك ينقل لنا الأخير قول أخر لطالب له هو الدمياطي يتحدث عن نسبه وأصوله آذ ذكر" انه موصلي الأب، الدمشقي المولد، المحلي الوفاة رفيقنا.." [٥] ويدل هذا على أن اليغموري قد صحب تلميذه الدمياطي وان الأخير كانت

١) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ١٤،٢٢.
٢) الكتبي، الوافي، ٣٣٨/٤.
٣) الكتبي، الوافي، ٣٣٨/٤.
٤) الذهبي، تاريخ، ١٤٤.
٥) الذهبي، تاريخ، ١٤٤.

علاقته به وثيقة حتى انه عرف مولد جده وأباه فضلاً عن معرفته تفاصيل وفاته ويلاحظ أن الذهبي قد نقل عن الكتبي عند ترجمته له وأضاف عليها. يلاحظ مما سبق أن اليغموري كان طيب الذكر بين المؤرخين الذين ترجموا له وخاصة عند ابن خلكان الذي عاصره والتقى به وانه عاش أزمة مالية دعته إلى التنقل وليس لديه أزمات ضمن التنافس المذهبي في حين لا يستبعد تبدل طبيعة عصره بكونه مرحلة انتقالية مابين العصر الأيوبي والعصر المملوكي وانه عاصر تأسيس دولة المماليك.

ثامنا: علاقته بالسلطة :

اتصفت علاقة اليغموري بالسلطة بأنها جيدة فقد صحب اليغموري الأمير جمال الدين نائب السلطنة في دمشق ومصر،[١] وكان ذلك بحدود سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م)،لان ابن كثير يذكر[٢] أن الأمير جمال الدين أصبح نائب السلطان في دمشق سنة(٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ثم انتقل إلى مصر وتولى نيابة السلطنة فيها، وقد ذكرنا أن اليغموري كان يتسم بخلق حسن وسعة علم، كثير النوادر لا تمل مجالسته،[٣] فمن نوادره، انه في احد الأيام مرض بعض مماليك الأمير جمال الدين فعالجه احد الأطباء لكنه توفي وخرج في جنازته كثير من الأعيان وخرج الطبيب الذي عالجه ووقف على شفير القبر وشرع يقول للحفار: افعل كذا وكذا واحفر كذا، فقال له اليغموري:أنت قد قضيت ما عليك وقد وصلته إلى هاهنا ومالك بعد هذا حديث فيتولاه غيرك، فضحك الحاضرون وخجل الطبيب وبلغ الأمير جمال الدين ذلك فطرب له،[٤] كما كان للأخير مدرسة عرفت بالمدرسة اليغمورية بدمشق، وان اليغموري له علم بها، و قام بتدريس الحديث فيها لمدة معينة.[٥]

بعد وفاة الأمير جمال الدين اتصل بابنه الأمير شهاب الدين الذي تولى المحلة وهي من أعمال الغربية بمصر عن الملك الظاهر،[٦] مما جعل اليغموري يفكر في أن يتجه إلى مصر ويستقر بها ليحافظ على تلك العلاقة مع السلطة أو انه كان يبحث عن من ينفق عليه

---

١) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الكتبي، فوات،٣٣٨/٤.

٢) البداية والنهاية،١٧٩/١٣

٣) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٤.

٤) الكتبي،ع يون التواريخ،٦٥/٢١.

٥) النعيمي، الدارس،٤٩٩/١-٥٠٠.

٦) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣.

آنذاك، وفعلاً توجه إلى مصر وبقى بها حتى أخر يوم في عمره، وهذا اثر على اليغموري في ان يحول اهتمامه بالحديث إلى الشعر والأدب وخاصة إذا علمنا أن الأمير جمال الدين وابنه شهاب الدين كانا لهم اهتمام بالأدب والشعر،[١] فيظهر أنهما من أسرة علمية تهتم بالعلم وهذا أدى إلى تقرب اليغموري منهم ووجه اهتمامه إلى الشعر في أخر حياته وان يهتم بملبسه كثيراً ليكون جديراً بهذه المكانه القريبة من السلطة، وهذا ما أكدته المصادر بأنه كان مشغولاً بنفسه، [٢] ولعل ارثه العائلي جعله يبحث عن ما يناسبه.

تاسعا: القيمة التاريخية والأدبية لكتاب (نور القبس)

من خلال مراجعة كتاب نور القبس المختصر من المقتبس،نجد أن هناك قيمة أدبية وتاريخية لهذا الكتاب إذ أن كتاب الأصل وهو (المقتبس) للمرزباني مفقود والمنتخب للمقتبس أيضا مفقود، وبذلك فان اليغموري وفر لنا مضامين مادة تاريخية قد فقدت من ضمن الكثير من مفقودات التراث الإسلامي.[٣]

ويلاحظ من كتاب نور القبس انه يحتوي على حوالي (١٢٥) ترجمة لشخصيات من أعمدة الأدب والنحو والتاريخ، وقد قسمهم اليغموري إلى علماء، ونحاه ورواة من أهل البصرة والكوفة وبغداد[٤] ، فذكر (٥٩) شخصية من علماء البصرة من أبرزهم أبو الأسود الدولي (ت٦٩هـ/ ٦٨٨م)، وترجم له حوالي (١٤) صفحة في غاية الأهمية،[٥] كذلك ذكر أخبار العالم احمد بن خليل الفراهيدي حوالي (١٦) صفحة،[٦] أما الأصمعي فقد اخذ حيزاً من تراجمه عندما ذكر أخباره في (٢٥) صفحة فضلاً عن ذكر بعض الأدبيات ومناسباتها وكثيراً من نوادره ومنها ما حدث معه ومع الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) إذ قال الأصمعي" سمعت الرشيد يقول : قلبَ العاشق عليه مع معشوقه، فقلت:هذا والله، يا أمير

---

١) الادفوي، الطالع السعيد، ٣٨١-٣٨٢.

٢) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛ الكتبي، عيون التواريخ،٦٤/٢١؛ الذهبي، تاريخ، ١٤٤.

٣) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق،١٤؛ الزر كلي، خير الدين،الأعلام، دار العلم للملايين،(بيروت:١٩٧٩)، ٢١٤/٢.

٤) اليغموري، نور القبس،٣٤٨،٧.

٥) اليغموري، نور القبس،٧-٢١.

٦) اليغموري، نور القبس،٥٦.

المؤمنين، أحسن من قول عروة بن خزام... فقال الرشيد: من قال هذا وهماً فاني أقوله علماً، ولله درك، يا أصمعي: فاني أجد عندك ما يضل عن العلماء". [١]

ومن القيمة التاريخية لكتابه ذكر بعض المفردات بما يخص ابتداء أمر البصرة ونزول المسلمين فيها وسرد بعض معاني اسمها وذكر فضائلها ومكانتها،[٢] ثم ذكر (٢٧) ترجمة من الكتاب وأدباء هذه المدينة منهم المشهورين ومنهم من ضاعت نتاجاته فذكر محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣٢هـ/٨٤٦م) [٣] وعمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) والذي لم يذكر من أخباره سوى عشرة اسطر جاء في محتواها التقليل من شأن الجاحظ كقوله نقلاً عن المازني : "اخبرني من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان". [٤]

فضلاً عما سبق فقد ترجم لحوالي (٢٩) عالم من علماء الكوفة من أبرزهم الشعبي (ت ١٠٥هـ /٧٢٣م) ترجم له حوالي (١٥) [٥] صفحة ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٨هـ/٧٦٥م) [٦] ولعل القيمة التاريخية لهؤلاء النحاة والأدباء في كتاب (نور القبس) لليغموري تتصدر القيمة الأدبية،في حين أن تقسيمه هذا يدل على تأكيده بوجود أكثر من مدرسة للنحو والأدب وهي البصرة والكوفة وبغداد التي استعرض منها (٣٠) عالم وابتداء الحديث عنهم بذكر بناء مدينة بغداد وأبوابها وابرز ما جاء في ذلك عندما وضع الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) أول لبنة بيده فقال:" ابنوا على بركة الله". [٧]

ثم أورد كتاب وأدباء ومؤرخين مدينة بغداد ومن أبرزهم الواقدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) [٨] والمبرد (٢٨٥هـ/٨٩٨م) الذي ترجم له حوالي (١٠) صفحات.[٩] ثم اختتم اليغموري كتابه بذكر النسابين ولعل أبرزهم ما ذكره عن وهب بن منبه (ت ١١٤هـ/٧٣٢م)وبعض مواقفه مع

١) اليغموري، نور القبس،١٤١.
٢) اليغموري، نور القبس،١٧١-١٧٣.
٣) اليغموري، نور القبس،١٨٥-١٨٦.
٤) اليغموري، نور القبس،٢٣٠.
٥) اليغموري، نور القبس،٢٣٧-٢٥٠.
٦) اليغموري، نور القبس،٢٥٦-٢٦٢.
٧) اليغموري، نور القبس،٣٠٨ .
٨) اليغموري، نور القبس،٣١١-٣١٢ .
٩) اليغموري، نور القبس،٣٢٤-٣٣٤.

الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) [١] فضلاً عما سبق فيمكن القول أن مضامين كتاب اليغموري هي بحد ذاتها موضع دراسة ومقارنة مع نصوص سابقة لها بما يخص تراجم أولئك والنحاة والأدباء والكتاب.

عاشرا: وفاته:

فتوفي يوسف بن احمد اليغموري سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) في المحلة من أعمال الغربية بمصر عند الأمير شهاب الدين وكان قد جاء إليها لرؤية هذا الأمير فتوفي عنده،[٢] وهنا يطرح سؤال لماذا توفي اليغموري عند الأمير شهاب الدين بمصر، والجواب على هذا السؤال يتحمل عدة احتمالات منها : ذكر المحقق زلهايم أن الأمير المذكور كان قاسي في تعامله مع الناس فذهب إليه اليغموري ليقنعه في أن يعدل عن سلوكه هذا[٣] وهذا تفسير سطحي، أو ان اليغموري والأمير شهاب الدين كانا لهم اهتمامات بالأدب والشعر مما أدى إلى تقرب الاثنان حتى توفي الأمير بعد اليغموري بشهر،[٤] وهذا اقرب للواقع أو أن اليغموري كان وحيدا في أخر حياته وهنا تطرح تساؤلات منها أن اليغموري هل تزوج أم لا، وإذا كان متزوجا أليس له أولاد يعيش معهم أو يستقر عندهم في أخر حياته، وهذا ما لم تشير اليه المصادر التاريخية.

الخاتمة:

يستدل من خلال البحث ان يوسف بن احمد اليغموري، الدمشقي المولد عاصر الأيوبيين والمماليك الذين اثروا على حياته بشكل مباشر أو غير مباشر، وتبين من البحث ان هذه الأسرة كانت تبحث عن ما يناسبها من العلم والعيش، فأبوه ولد في الموصل ونشأ بها وغادرها إلى الشام وولد هو أي اليغموري في دمشق ونشأ بها وغادرها إلى مصر، ودل ذلك على تنقل الناس بسهولة إلى أي مكان يرغبون فيه دون عائق يحد من تنقلهم فكلها بلاد للمسلمين.

---

١) اليغموري، نور القبس،٣٤٨-٣٥١.

٢) اليونيني، ذيل،١٠٦/٣؛الكتبي، عيون التواريخ،٦٣/٢١-٦٤.

٣) اليغموري، نور القبس، مقدمة المحقق، ٢٣.

٤) الكتبي، عيون التواريخ،٦٤/٢١، ٥٧ .

وتبين أيضا انه في أول حياته اهتم وبرع في علم الحديث وله مؤلفات في ذلك لكنها ضاعت ولم تصل إلينا، ثم وجه اهتمامه نحو الأدب والشعر وقد برع فيه، بحيث أصبح له قدرة على استقطاب محبي الأدب والشعر وفي مقدمتهم رجال الدولة أمثال الأمير جمال الدين وابنه شهاب الدين الذي توفى عنده، فضلاً عن محبة العامة له بسبب ما امتاز به من كلام ظريف لا يمل وحسن أخلاقه وأدبه.

أما بخصوص المدة الأخيرة من حياته ووفاته فقد تبين ان اليغموري قد تعرض لمشاكل في تلك المدة لا نعلم أسبابها، يبدو أنها مشاكل اقتصادية أثرت على رحلاته واختيار أصحابه وثقافته.

Al-Yaghmuri Abu Al-Mahasin Yusef bin Ahmed Al-Mufti ((673 AH / 1274 CE

Study in his biography and knowledge

Dr. Hana Salem Daia

Abstract

It is inferred from the research that Yusuf bin Ahmed Al-Yaghmuri, the Damascene-born, lived with the Ayyubids and Mamluks who influenced his life directly or indirectly, and it was found from the research that this family was searching for what is appropriate for it from knowledge and living, so his father was born in Mosul and grew up in it and left for Sham and was born That is, the Yagmuri in Damascus, where he grew up and left for Egypt, and this indicates that people can move easily to any place they want without any hindrance limiting their movement, as they are all Muslim lands.